

تحقيق نصوص

المقَابِسات

الدكتور عبد الرزاق محمد الدز

كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي نشر مرتين : مرة في الهند على الحجر عام ١٣٠٦ هـ ، ومرة في مصر بتحقيق الاستاذ السندوبي ١٩٢٩ وهو في كليتها محرف ومغلوط . وقد بذلت جهداً في تصحيح « المقابسات » على مخطوطات مختلفة . راجع مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الثاني الصادر في ١٩٥٢ وفي ص ٣٢٨ - ٣٣٧ فهناك تحقيق وافٍ عن أصول الكتاب .

ونستأنف في هذا العدد والاعداد التي تليه نشر ما حرّر من بقية المقابسات . والرموز التي في الهامش تشير إلى المصادر التي رجعت إليها في تصحيح النصوص .

- ١ - النسخة الحجرية الهندية رمزت لها د ه .
- ٢ - النسخة المصرية « نشر السندوبي » وقد رمزت لها ب ط م .
- ٣ - مخطوط المكتبة الظاهرية رمزت لها ب ظ .
- ٤ - مخطوط تيمور في دار الكتب المصرية وتحت رقم ١٧٥ مجاميع تيمور رمزت لها ب « ت » .

- ٥ — المخطوطتان اللتان بدارالكتب من كتاب «منتخب صوان الحكمة» رمزت لكل منها بـ «م» موصولاً بالرقم الذي تحمله النسخة .
- ٦ — اخبار الحكماء للقفطي وقد انتفعت بها في تصحيح سطور من المقابلة الثانية . وهذه هي المقابسات .

المقابلة السابعة عشرة (*)

في هل ما عليه الناس من السيرة والاعتقاد حق كله أو أكثره حق ، أو باطل كله أو أكثره باطل ؟ .

« سئل ابن سوار^(١) وكان عند^(٢) ابن السمع^(٣) بباب الطاق : —

هل ما فيه الناس من السيرة ، وما هم عليه من الاعتقاد ، حق كله ، أو أكثره حق ، أو كله باطل أو أكثره !

فقال : المسألة هائلة ، والجواب هين .

قيل : أفدنا^(٤) ، أفادك الله ، فان ركيّة العلم لا تنزح وان اختلفت عليها الدلاء ، وكثر على حافظها الوراد^(٥) .

فقال : صدقتم ، واعلموا انه إذا لحظ استيلاء الطبيعة عليهم ، وغلبة آثارها فيهم ، في الرأي والمعتقد ، والسيرة المؤثرة ، فأكثر ذلك باطل ، لأن سلطان العقل في بلاد الطبيعة غريب ، والغريب ذليل ، وان لحظ حكم العقل ، وما يجب به ، ويليق بجوهره ، ويحسن مضافاً إليه ، فأكثر ذلك حق ، كان الملحوظ رأياً أم سيرة^(٦) ، وعادة أم^(٧) خليقة ، وعلى

(*) صححت على منتخب صوان الحكمة م (و) ١١٠ (ج) : ١٥٦ .

(١) هو أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام ، ويعرف بابن الحمار ، ترجم له في هامش المقابسات ص ١٦٠ ط مصر .

(٢) لم توجد في ط م .

(٣) هو أبو علي بن السمح البغدادي المنطقي ترجم له في هامش المقابسات ص ١٦٠ .

(٤) في م و : « أفدنا » .

(٥) في ط م : « الواردة » .

(٦) في ط م : « وسيرة » .

(٧) في ط م : « أو » .

هاتين الغلبتين^(١) يكون القضاء ، ويقع الحكم ، والحق لا يصير حقاً بكثرة معتقديه ، ولا يستحيل باطلاً بقلة منتحليه ، وكذلك الباطل ، ولكن قد يظن بالرأي الذي قد سبق اليه الاتفاق من جلة الناس وأفاضلهم ، انه أولى بالتقديم والإيثار ، وأحقّ بالتعظيم والاختيار ، لأنه يكون [مخبوراً بالقلي^(٢)] مصقولاً على الزمان ، تلمسه كل يد ، وتجتليه كل عين ويصير ثباته على صورته الواحدة دليلاً قوياً ، وشاهداً زكياً على حقيقته ؛ لأنه يبرأ حينئذ من هوى صاحبه^(٣) ، ويعرى من تعصب ناصره ، ويبقى بصورته الخاصة ، ويجري مجرى السبيكة^(٤) التي لا تحتاج الى علاج المعالج ، وتمويه المموّه ، وانتقاد المنتقد ، وتنفيق المنفق ، وحيمة المحتال .

المقابلة التاسعة عشرة (*)

< في السماع والغناء ، وأثرها في النفس ، وحاجة الطبيعة الى الصناعة >
 « خرج أبو سليمان^(٥) يوماً ببغداد الى الصحراء ، بعض أيام الربيع ، قصداً للتفرج والمؤانسة [مع عدة من أصحابه ، وفي جملتهم صبيّ دون البلوغ^(٦)] جهم الوجه ، بغيبض المحيّا شتيم المنظر ، ولكنه كان مع هذه العورة يترنم ترنماً ندياً ، عن جرم ترف ، وصوت شج ، ونغمة رخيمة ، وكان معه^(٧) جماعة من طراق المحلّة [وفتيان السكة ، ليس فيهم الا من تأدب أدباً يليق به ويغلب عليه^(٨)] فلمّا تنفس الوقت أخذ الصبيّ في فنه ،

(١) في ط م : « والقيبتين » . (٢) في ط م : مجبوراً بالفكر .

(٣) في ط م : « منتحلة » ، وهو من تصرف الناشر ، وآثر ناكلته صاحبه لأنها مأثورة في النصوص .

(٤) في ط م : « المسكينة » .

* صححت على منتخب صوان الحكمة م (و) ورقة ٩٨ .

(٥) هو أبو سليمان المنطقي .

(٦) ما بين القوسين من م (و) ويقابله في ط م : « وصحبته وكان معنا أيضاً صبيّ دون البلوغ » .

(٧) في ط م : معنا . (٨) ما بين القوسين من م (و) .

وبلغ أقصى ما عنده ، فترشح أصحابه ^(١) وتهادوا وطربوا . [قال أبو زكريا الصيمري : قلت ^(٢)] لصاحب لي ذكي : أما ترى ما يعمل بنا شجا ^(٣) هذا وندى هذا الحلق ، وطيب ^(٤) هذا اللحن ، وتقنن هذه النغم ^(٥) ؟

فقال : لو كان لهذا من يخرججه ويعنى به ، ويأخذه بالطرائق المؤلفة ، والألحان المختلفة ، لكان يظهر آية ، ويصير فتنة ، فإنه عجيب الطبع ، بديع الفن ، غالب [الدَّفِ والترف ^(٦)] .

فقال أبو سليمان فلتة : حدثوني ^(٧) بما كنتم فيه عن الطبيعة ، لم احتاجت الى الصناعة 2 وقد علمنا أن الصناعة تحكي الطبيعة وتروم اللحاق بها ، والقرب منها ، على سقوطها دونها . وهذا رأي صحيح ، وقول مشروح ، وإنما حكمتها وتبعتم رسمها ، وقصت أثرها لأنحطاط رتبها عنها ، وقد زعمت أن هذا الحدث لم تكفه الطبيعة ولم تغنه ^(٨) ، وإنما قد احتاجت الى الصناعة ، حتى يكون الكمال مستفاداً أو مأخوذاً من جهتها ، والغاية مبلوغة بمعاونتها وإمدادها ^(٩) .

فقلنا له : ما ندري ، وإنما لمسألة !

فقال : فكروا . فعدنا ^(١٠) له وقلنا : إنا قد بلجنا ^(١١) ، ولو مننت بالبيان ، ونشطت

(١) في ط م : أصحابنا .

(٢) ما بين القوسين من م (و) ويقابله في ط م : « قلت » .

(٣) « شجا » . في ط م . (٤) في ط م : « وطيبة » .

(٥) في ط م : « النغم » . (٦) في ط م : « غالب الدين والترف » . ولا معنى له .

(٧) في م (و) : « حدثوني على » .

(٨) في ط م بعد هذه الكلمة جملة : « ولم تعنيه » ، ولا توجد في النسخ الاخرى .

(٩) في ط م « واصدارها » .

(١٠) في ط م : « عدنا » . (١١) في ط م : « ثلجنا » . ولا معنى له .

لنشر الفائدة كان ذلك محسوباً في بيض^(١) أياديك وغرر فضائلك .

فقال : إن الطبيعة إنما احتاجت الى الصناعة في هذا المكان ، لأن الصناعة ها هنا تستملي من النفس والعقل ، وتعلي على الطبيعة ، وقد صحّ ان الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس [والعقل ، وانها تعشق النفس^(٢)] وتمثل أمرها ، وتكمل بإكمالها^(٣) وتعمل على استعمالها ، وتكتب بإملائها ، وترسم بإلقائها ، والموسيقى حاصل للنفس ، وموجود فيها ، على نوع لطيف ، وصنف شريف ، فالموسيقار إذا صادف طبيعة قابلة ، ومادة مستجيبة ، وقريحة مواتية ، وآلة منقادة ، أفرغ عليها بتأييد العقل والنفس لبوساً مؤنقاً ، وتأليفاً معجباً ، وأعطاهما صورة معشوقة . وحلية مرموقة ، وقوته في ذلك تكون بمواصلة النفس الناطقة ، فمن هنا احتاجت الطبيعة الى الصناعة ؛ لأنها وصلت الى كمالها من ناحية^(٤) النفس الناطقة ، بواسطة الصناعة الحاذقة^(٥) ، التي من شأنها استملاء ما ليس لها ، وإملاء ما يحصل فيها ، استكمالاً بما تأخذ ، وإكمالاً^(٦) لما تعطي .

فقال له البخاري — وكان من تلامذته : — « ما اشكرنا على هذه الصلوات السنية ، وما أحمدا لله على ما يهب لنا منك من هذه الفوائد الدائمة » .

فقال : [يا^(٧)] هذا ، بكم اقتبست ، وبمجرم قدحت ، والى ضوء ناركم عشوت ، واذا صفا ضمير الصديق للصديق ، أضاء الحق بينها ، واشتمل الخير عليها ، وصار كل واحد منها ردةً لصاحبه ، وعونا على قصده وسبباً قوياً في نيل إرادته ، ودرك بغيته ، ولا عجب من هذا ، فالنفوس تتقادح ، والعقول تتلاقح ، والألسنة تتفاح ، وأسرار هذا الانسان الذي هو العالم الصغير في هذا العالم الكبير ، كثيرة جمّة ، واسعة مثبتة ، وإنما يحتاج

- (١) في م (و) : « فيض » .
(٢) ما بين القوسين من م (و) ، م (ح) .
(٣) في ط م : « بكمالها » .
(٤) في م (و) م (ح) : « ناحية » .
(٥) في ط م : « الحاذقة » .
(٦) في ط م : « وإكمالاً » .
(٧) لم توجد في ط م .

الناظر في هذا النمط الى عنايته بنفسه في طلب سعادته ، ورعايته لحاله في السلوك الى غايته ، غير عاجج على زهرة العين ، ونضرة الحس ، ولذّة الوقت ، فإنه بهذه المقدمات يصل الى تلك الغايات ، ويجني تلك الثمرات ، ويجد تلك السكائن ، مرتفعاً عن هذه الأقداء والقاذورات وأول هذا الأمر وآخره بالله ومن الله . اللهم طهر قلوبنا من ضرّوب الفساد ، وحبب الى أنفسنا طرائق الرشاد ، وكن لنا دليلاً ، وبنجاتنا كفيلاً ، بمنك وجودك اللذين ما خلا منها شيء من خلقك العلوي والسفلي ، ولا فاتا شيئاً ^(١) من صنعك الجلي والخفي ، يا من الكل به واحد ، وهو في الكل موجود ^(٢) .

هذا ما خالص من هذا الاجتماع ، وهو ظاهر الشرف ، أثبت به على ما لُقنته ^(٣) . فأشركني في استحسانه وقبوله ، وكن معيناً على طلب نظيره ، فالتعاون ^(٤) على الخير ، والتناصر على البرّ سيرة الفاضلين ، وعادة أهل التقى والدين .

المقابلة السادسة والعشرون (*)

< في أن اليقظة التي لنا بالحس هي النوم ، والحلم الذي لنا بالعقل ^(٥) هو اليقظة >
« سمعت أبا إسحق الصابي الكاتب يقول : رأيت ثابت بن قرّة الحرّاني في المنام ، قاعداً على سرير في وسط دجلتنا هذه ، وحوله ناس كثير ، كأن كل واحد منهم من قطر وهم على خلق مختلفة وهو يعظهم [وينسبهم اليّ ^(٦) خلال] وعظه وكلامه ، وحصلت منه نكتة شريفة ، ذهبت مني في اليقظة وساءني ذلك جداً ^(٧) . وكنت اسرّح فكري ^(٨)

(١) في ط م : ولا فاتنا شيء .

(٢) في ط م : « لقيته » .

(٣) في ط م : « فالتعاقب » .

(*) صححت على منتخب شوان الحكمة م (و) : ٩٢

(٤) في ط م : « بالفعل » .

(٥) في ط م : « هذا » .

(٦) في ط م : « وينسبهم في خلال » .

(٧) في ط م : « تنكيري » .

كثيراً في الظفر بها ، والوقوع ، عليها فلا يعود بطائل ، فلما كان بعد دهر ، وبعد اختلاف احوال ، ذكرت أنه قال لي (١) :-

خذ يا ابراهيم ثمرة الفلسفة من هذه الكلمات الشافيات (٢) التي هي خير لك من أهلك وولدك ، ومالك ورتبتك .

إعلم أن اليقظة التي هي لنا بالحس هي النوم ، والحلم الذي لنا بالعقل (٣) هو اليقظة ، ولغلبة الحس علينا قد اتفقنا أن الأمر بخلاف هذا ، وإلا فغلب العقل مكان الحس ينصدع لك الحق في هذا الحكم (٤) فاذا وضح هذا [فبالواجب ينبغي ان ينفذ من الحس (٥)] وان ظننا ان اليقظة من ناحيته ، ويتلبس (٦) بالعقل وان ظننا ان الحلم من ناحيته .

وكان أبو اسحق يقول : وهذه النكتة مفروشا (٧) واسع ، ولكن بقي ان تفهم منتفعاً بها ، وتسمع على وجه التقبل لها ، لا على معنى الاعتراض لها .

الفلسفة هي لطائف العقل ، فكل من لطف وصل إليها ، ولطف الانسان في طلبها هو تأتية عند التفهم ، وصبره عند الطلب ، وثباته (٨) على السيرة التي ندب إليها المشفقون الناصحون ، فان النفس تزكو عند ذلك ، والصدر ينشرح ، والخاطر يتوالى ، فلن يبقى حينئذ باب إلا انفتح ، ولا مشكل إلا وضح .

(١) لم توجد في ط م .

(٢) « الشافية » في ط م .

(٣) في ط م : « الفعل » .

(٤) في ط م : الحلم .

(٥) ما بين القوسين من نسخ منتخب صوان الحكمة ويقابله في ط م : فبالواجب ان ينبغي ان ينقص

من الحس . وهو كما ترى .

(٦) في ط م : « ويتلبس » .

(٧) في ط م : « مفروشا » ولا معنى له .

(٨) في ط م : « وثباته » .

قسم من المقابلة التاسعة والعشرون *

< في ان الفاعل الأول هو علة المحسوسات والمعقولات >

« سمعت النوشجاني يقول : قد وضع بالعبارة الصحيحة ، والتصريح الشافي ، والنظر البليغ ، ان الفاعل الأول الذي ^(١) هو علة كل ما يرى ويوجد ، ويعقل ويحس ، لا قصد له في أفعاله [ولا غرض ولا مراد ، ولا اختيار ولا روية ، ولا توجهه ولا عزيمة ولا معالجة ولا مباشرة ^(٢)] ولا مزاولة ولا محاولة .

فقال بعض الحاضرين : لو أيدت هذا القول ببرهان ساطع ، أو بدليل مقنع ، كنت قد ^(٣) شيدت ما أسست ، وقويت ما بنيت ^(٤) .

فقال : إن ^(٥) هذه كلها دخلت افعالنا [وتخللت أحوالنا ^(٦)] لعجزنا وفسولتنا ، وانحطاطنا وضعفنا ، وتهافتنا وتحوّلنا ، وتبدلنا وسيلاننا [وبطلاننا ^(٧)] فأنجبرت ^(٨) مكاسرنا بها ، وتمت مناقصنا ^(٩) بمواصلتها ، وانسدت مفاقرنا باستعمالها ، فاما الباري الحق الذي هو واهب كل كامل كماله ، وجابر كل ناقص نقصه ، فهو ^(١٠) علي عن الاغراض والعلل ، والمسالك والسبل ^(١١) .

فقال له السائل : فكيف اتفقنا على أنه ممنوع بالحكمة ، وافعاله على ما زعمت ؟ وكيف

(* صحح هذا القسم على منتخب صوان الحكمة م و : ١١٣ ، م (ج) :

- (١) في ط م لم توجد كلمة الذي .
- (٢) ما بين القوسين تفردت به ط م .
- (٣) تفردت بها ط م .
- (٤) في م و ، م ج : ما اثبتت .
- (٥) في م (و) : « لأن » .
- (٦) تفردت بها م (و) م ج .
- (٧) في مكان الكلمة بياض في ط م وقد ملأته من (و) ، م ج .
- (٨) في ط م : « وجبرت » .
- (٩) في ط م : نواقصنا .
- (١٠) في م (و) ، م (ج) لم توجد .
- (١١) لم توجد في ط م .

بيان عن هذا [حتى تخلص خوائن اللحظ من القلوب ^(١)] وشوائن اللفظ من اللسنة
 فقال : لعمرى ، إن في إيضاحه لصعوبة وعسراً ، وإن كان العقل قد قضى بما قدمته ،
 وعلى صعوبة ذلك ، فإني أؤلف على التقريب قولاً عسى أن يكون للسامع فيه رضى ومقنع
 أن لم يكن فيه [مروى ومشبع ^(٢)] .

قسم من المقابلة الواحدة والثلاثون *

< في أنه لو اقتضت إرادة الباري عدم البعث والنشر لما قدح ذلك في ألوهيته >
 « سمعت مقداداً يقول : لو انتهى غرض [من تقدس وعلا ^(٣)] في الانسان مع
 هيئته المعروفة ، وحليته المألوفة ، إلى أن يموت ثم لا يكون له بعث ولا نشور ، ولا معاد
 ولا منقلب ، لما كان ذلك قادحاً في إلهيته ، ولا متحيفاً لطرف من أطراف حكمته ،
 ولا معانداً لما يليق بربوبيته ، فكيف وقد نصب العلامات ، وأحضر ^(٤) الشواهد
 والبيّنات ، وأقام البراهين ^(٥) والآيات ، على تحقيق المعاد ، وحصول السعادة والشقاء ،
 بحسب الصور الموجودة لواحد واحد ؟

ثم قال : لو سألنا العقلاء بأسرهم ، أو سألنا ^(٦) أعقلهم فقلنا :
 « ما تقول في بدنك إذا بطل بأسره ، ولم يبق منه شيء ، إلا العين التي من شأنها أن
 تبصر الأشياء ؟ فإن جوابه لا يعدو أن يكون : « إذا لم يكن بد من فناء جميع البدن

(١) ما بين القوسين في ط م : حتى يخلص من خوائن اللحظ والقلوب وفي م (و) م (ج) : حتى
 تخلص من خوائن اللحظ من القلوب ، وقد فُضت ما أثبت لسياق الكلام .

(٢) في ط م : « مرأى ومسمع » ، ولا معنى له ، والتصحيح من م (و) ، م (ج) .
 * صححت على منتخب صوان الحكمة م (و) : ١٠٧ ، م (ج) : ١٥٢ .

(٣) في م (و) ، م (ح) : « الباري تعالى » (٤) في ط م : « وأحكم » .

(٥) في ط م : « البرهان » (٦) في ط م : « وسألنا » .

بأجزائه ، فلائن تبقى العين ، وهي اشرف ما فيه أو السمع [وهو نظيرها في الشرف ^(١)]
خير من ألا يبقى شيء ، ويبيد كله ويضمحل جميعه .
قال : فيقال له : فكذلك النفس في بقائها بعد أن يصرح عنها قشورها ، وتفارق
مختارة لبوسها .

قال : وإنما ضربت هذا المثل ، [وعرضت ^(٢) هذا] التشبيه لانه قال لي قائل :
الانسان لا يبقى ، واذا لم يبق الانسان فأى فائدة فيما يبقى منه ، أوله أو [به ^(٣)] ؟ قال :
وهكذا ^(٤) لو ضرب المثل بمن له ولد ، أعني لو قيل : « لا سبيل إلى بقائك بذاتك ، لانك
لا تحمل ذلك بعنصرك ولكن يبقى بعدك ولدك الذي هو بضعة منك ، وفاضل عنك ،
لأثر بقاء ولده من بعده إيثاراً حسناً ، طيب النفس به ، فانه يرى أن ولده منه ، أو هو هو
لأنه يراه ^(٥) مصاصته وخلاصته ، وبصاصته ^(٥) وسلالته ، ولا يكاد يفصل بينه وبين نفسه
إلا [بالشخص] فقط .

المقابلة الرابعة والثلاثون *

< في أن الموجود على ضربين : موجود بالحسّ وموجود بالعقل >
« سمعت البديهي يقول - وكان صحب يحيى بن عدي دهرأ ، وهو حملني بدعوته
اللطيفة الى مجلسه - :

- (١) ما بين القوسين من م (و) ، م (ح) ، وفي ط م : وهو في الشرف (بمكان) .
 - (٢) في م (و) ، م ج : « وعرفت بهذا » (٣) في ط م « أو آخره » ولا معنى له .
 - (٤) في ط م : « وهذا » .
 - (٥) في ط م : « يرى » .
 - (٦) في م (و) ، م (ج) : نضاضته . وكلاهما يتم به المعنى .
 - (٧) في ط م : « بالشخص والشخص » .
- * صححت على منتخب صوان الحكمة م ١ (و) ١١٢ ، م (ج) : ١٦٠ .

« من البين أن الموجود على ضربين : موجود بالحسّ ، وموجود بالعقل ، ولكل واحد من هذين الموجودين وجود بحسب ما هو به موجود ، إما حسّ واما عقليّ . فعلى هذا : النفس لها عدم في أحد الوجودين ^(١) وهو الحسّ ، ولها وجود في القسم الآخر [وهو العقليّ ، وقد كان الدليل على هذه الحال حاضراً في هذا العالم ، وذلك أنها كانت ^(٢)] تنقل وتستنبط ، وتعقل وتستبطن ^(٣)] ، وتنظم المقدمات وتدل على يناهض المعلومات ، وتعلو الى غاية الغايات ، وليس للحس معها شركة ، ولاله عندها معونة ومادة ، فكيف لا تكون النفس التي هذا ^(٤) عنوان كتابتها ، وصریح كنهايتها ، وفاضل عنايتها ، بعد مفارقة القشور والحواجز ، والحيطان والحواجب ، والغواشي والملابس ، عن الحسّ أغنى ، وبجوهرها أعلى ، وبخاصتها أسنى ، وهذه الأشياء عنها أبعد ، وعن شرفها أهبط ؟ وهل هذه الشهادة الاعادة ، وهذه البيّنة المقبولة ، وهذا الحكم الامرضيّ ، وهذا المثال إلاّ بيّن ؟ .

ثم قال : ولطائف الحكمة لا يصل اليها الحسّ الجاني ، والغليظ الجلف ، والقدم العباب ^(٥) ، والهللابة العلقوف ، وانما تعرض لمن ^(٦) صحّ ذهنه ، واتسع فكره ، ودقّ بحثه ، ورق تصفحه ، واستقامت عاداته ، واستنار عقله ، وعلت همته ، وخذ شرّه ، وغلب خيره ، وأصل رأيه ، وجاد تمييزه ، وعذب بيانه ، وقرب إتقانه .

قيل له : « هذا عزيز جداً ^(٧) » . قال : [كما ان المشتبه به في هذا عزيز جداً ^(٨)] .

(١) في م ط : « الموجودين » . (٢) ما بين القوسين تفردت به ط م .

(٣) في ط م : « تنقله وتستنبطه ، وتعقل وتستبطني » .

(٤) في ط م : « هو » . (٥) في ط م : والغليظ القدم والجلف العباب » .

(٦) في م (و) ، م (و ح) مق

(٧) في ط م : « جداً الآن » .

(٨) ما بين القوسين من نسخة م (و) ، م (ج) .

واتباع في هذا الفن وتمطى ، وحاز كل غاية وتخطى ، ومحصولي من ذلك ما سمعته الآن
وترى (١) .

نفعنا الله به ، وحلانا بأزينه ، وأسعدنا بقبوله .

المقابلة السابعة والثلاثون *

< في أن الانسانية افق ، والانسان متحول الى افقه بالطبع >

« قال ارسطوطاليس — فيما ترجم من كلامه عيسى بن زرعة المنطقي البغدادي

أبو علي — :

الانسانية أفق ، والانسان متحرك الى أفقه بالطبع ، ودائر على (٢) مركزه ، الا [ان
يكون مؤثراً بطبيعته ، مخلوطاً (٣)] بأخلاق بهيمية ، ومن رفع عصاه عن نفسه ، والقي
حبله [على غاربه (٤)] ، وسيب هواه في مرعاه ، ولم يضبط نفسه [عما يدعو اليه طبيعته (٥)] ،
وكان لئيم العريكة لاتباع الشهوات الرديئة ، فقد خرج عن أفقه ، وصار [أرذل من
البهيمة بسوء ايثاره (٦)] .

هذا آخر ما ترجمه من هذا الفصل ، وهو كما ترى وعظ بحكمة ، وايقاظ برأفة ، وتعليم
بنصيحة ، وارشاد ببيانات ، لوروى هذا الحسن (٧) البصري ، ومنصور بن عمار

(١) في ط م : « فسر » ولعله تحريف .

* صححت على منتخب صوان الحكمة م (و) : ١٠٩ ، م ح : ١٥٥ .

(٢) في ط م : « الى » .

(٣) في ط م : « أنه صهوق بطبيعته . ملحوظ » . ولا معنى له .

(٤) لم توجد في ط م .

(٥) في ط م : « عما يدعو اليه بطبعه » . وفي م و ، م ح : عما يدعو اليه بطبعه . وقد أصلحت

كما ترى .

(٦) في ط م : « الى أرذل من البهيمة لسوء ايثاره » .

(٧) في م (و) : « للحسن » .

وضرباؤها^(١) ما زادنا على ذلك . وقد اتفقت آراء الأفاضل^(٢) كلها على اصلاح السيرة ،
وتصحيح الاعتقاد ، والسعي فيما أثمر وأجدى ، والاعراض عن كل ما شغل البال ، وأثار
الشهوة ، لتبلغ النفس غايتها ، وتسعد في عاقبتها ولا يكون لها عكس في هذا العالم ، ولا
تردد على ما قد خوف من ذلك كثير منهم والسلام . »

المقابلة الثانية والأربعون *

[في معرفة الله ضرورة هي أم استدلالية]

قيل لأبي الخير^(٣) : حدثنا عن معرفة الله تقديس وعلا^(٤) ضرورة هي أم استدلال ؟
فان المتكلمين اختلفوا في هذا^(٥) اختلافا شديداً ، وتنابدوا عليه تنابداً بعيداً ، ونحبت
أن يحصل لنا جواب فلسفي^(٦) على حد الاختصار مع البيان .

فقال هي ضرورة من ناحية العقل ، واستدلال من ناحية الحس ، ولما كان كل مطلوب
من العلم إما أن يطلب بالعقل في المعقول ، أو بالحس في المحسوس — قال : وهذا هو
الشاهد والغائب — ساغ^(٧) أن يظن تارة^(٨) أن معرفة الله اكتساب واستدلال ؛ لأن
الحس يتصفح ويستقوى^(٩) بمؤازرة العقل ومظاهرتة ، وتحصيله وتفصيله^(١٠) ، وأن
يظن تارة أخرى أنها ضرورة ، لأن^(١١) العقل السليم من الآفة ، البريء من العاهة ، يبحث
على الاعتراف بالله تقديس اسمه ويحظر على صاحبه جحده^(١٢) وانكاره والتشكك فيه ، ولكن

- (١) في م (و) : « وضرباؤها » .
* صححت على منتخب صوان الحكمة م (و) : ١٩٠ ، ١٠١ م (ح) : ١٦٩ .
(٢) هو أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام .
(٣) في م (و) : « تقديس اسمه » .
(٤) في م (و) : « في هذا اختلفوا » .
(٥) في م (و) : « وساغ » .
(٦) في م (و) : « ويستقوى » .
(٧) في م (و) : « إن » .
(٨) في م (و) : « الأوائل » .
(٩) المصدر نفسه : مرة .
(١٠) لم توجد في م (و) .
(١١) المصدر نفسه : « بجحده » .
(١٢) في م (و) : « إن » .

ضرورة لا ثقة بالعقل ، لأن ضرورة العقل ليست كضرورة الحس ، وذلك أن ضرورة الحس فيها جذب واجبار^(١) ، وحمل وإكراه ، فأما ضرورة العقل فهي لطيفة جداً ، لأنه يعظ ويلطف ، وينصح ويخفف^(٢) . وكان بعض أصحابنا الوراقين ببغداد يضرب في هذا مثلاً : زعم أن مثال الحس في هذا كمرأة حسناء متبرجة ، ذات وقاحة وخلاعة ، قد جلست الى شاب طرير ، له شطر جاهلها ، وعليه مسحة من حسنها ، تخدعه بحديثها ، وتراوده عن نفسه لنفسها ، وتبدي له محاسنها ، وتطمعه في تمكينه^(٣) منها وتستعجله في حاجتها ، وتحثه على قضاء اللذة والوطر منها .

فأما مثال العقل فكانه شيخ هم قاعد على بعد ، ليس به نهضة للزحوف اليه ، والحيولة بينه وبين ما قد نزل^(٤) به من صاحبته الوقحة الفاضحة ، إلا أنه مع ذلك ، [يلوح بثوب^(٥)] ، وينادي بصوب ، يحرك رأسه ، وييسط يده ، ويعظ ويلطف ، ويعد ويخوف ، ويضمن ويرفق ، ويشفق ويحنو ، فأين^(٥) تأثير هذا الشيخ المحطم من تأثير هذه الخالبة الغالبة ، المحتمالة المعتالة ؟ هذا مع قلة اصغاء الشاب الى الشيخ ، وسيلانه مع هذه .

أراد^(٧) بهذا المثل ، الفرق بين العقل فيما يدعوك اليه لتسعد ، والحس فيما يحملك^(٨) عليه لتشتقى . هذا في جميع [ما تزاوله وتحاوله ، وتهتم به وتتوجه^(٩)] نحوه ، فعلى هذا فان الله تعالى وتقدس ، معروف عند العقل بالاضطرار ، لا ريب عنده في وجوده ، ومستدل عليه عند الحس ، لأنه يستحيل كثيراً ، ولا يثبت أصلاً ، فمن استدل ترقى من الجزئيات ،

(١) فن ط م : ه واختيار .

(٢) المصدر نفسه : ويحقق .

(٣) في م (و) ، م (ح) : « في الاستمكان » . (٤) في م ، و ، م ج : « فإن » .

(٥) في ط م : « ما نزل » . (٦) المصدر نفسه : « يصيح ويتأوه » .

(٧) في ط م : « وارد » . (٨) المصدر نفسه : « ويكملك » ،

(٩) المصدر نفسه وردت هذه الأفعال بصيغة المضارع للمفرد الغائب .

ومن ادعى الاضطراب المحذر من الكليات ، فكلا (١) الطرفين قد وضع (٢) بهذا الاعتبار ، وكفى (٣) مؤنة الخبط والاكثر ، وهكذا كل شيء يطلب (٤) أصله وفصله بالنظر الفلسفي ، والبحث المنطقي ، والاقتراء الالهي ، فاما ما ينظر منه بالخصوص (٥) ، فلا يرث الانسان منه الا الشك والمرية والحسبان والظنة ، والاختلاف والفرقة ، والحمية والعصبية ، وهناك للهوى ولادة وحضانة (٦) ، وللباطل استيلاء (٧) وجولة ، وللحيرة ركود واقامة .

أخذ الله بايدينا ، وكفانا الهوى الذي يردينا (٨) ، [وصنع الذي (٩)] هو أولى به منا ، والسلام .

المقابلة الخامسة والاربعون *

[في شيء من مذكرات المؤلف مع بعض الاطباء]

ذاكرت طبيباً شاهدهته « بجنديسابور » بشيء من العلم . فما اذكر تلك المذاكرة ، وتلك المسألة ، وتلك الفائدة الاسنج شخص ذلك الشخص - وكان يكنى أبا الطيب - لعيني ، وتمثل في وهمي (١٠) ، وحتى كاني أراه قريباً مني (١١) ، وحاضراً عندي ! وطال تعجبي من ذلك ، فرأيت أبا سليمان في المنام فسألته عن الحالة (١٢) التي قد شغلتنى بالتعجب منها ، والأمر الذي توالى علي من أجلها .

- (١) في ط م : « وكلا » .
(٢) في م (و) ، م (ح) : قد وضحا .
(٣) المصدر نفسه : وكفيا .
(٤) المصدر نفسه : طاب .
(٥) في ط م : « في الجدل » .
(٦) في م (و) « حضانة » .
(٧) في ط م : في ط م : « استلاء » .
(٨) في ط م : في ط م : « يؤذينا » .
(٩) في ط م : وصنع لنا بالذي . وفي م (و) ، م (ح) وصنع بالذي وقد اصلحت بما ترى .
(*) صححت على نسخة المقابسات المخطوطة بمكتبة الظاهرية بدمشق .
(١٠) في ط : « وتمثل به وهمي » .
(١١) في ط م : « معي » .
(١٢) في ط : « الحال » .

فقال لي في الجواب قولاً [متقطعاً التأم^(١)] من جملته في اليقظة ما انا راسمه وحاكيه في هذا الموضع .

قال : ألم تعلم أن المبدأ والأوّل^(٢) ، والأصل والعلة مفتقر اليه بالطبع والضرورة ، ومعترف به بالوجوب الذي ليس فيه مزية ولا شبهة ؟

قلت : بلى

قال : فالثاني مشعراً أبداً بالأوّل ، والأول مشعر بنفسه ، والثاني مشعور به أيضاً ولكن [بالأوّل^(٣)] ، والأوّل مع هذا هو الثاني ، والثاني هو الأوّل ولكن اختلفت الرسوم ، ولم تختلف الحقائق .

إلى ههنا يخلص لي ما تبينته ، وهو ظاهر [كأنه قال^(٤)] :

لما كان [مرة صدرت المذاكرة من جهته^(٥)] وتمت بمطاولته ، وحصلت^(٦) الفائدة بوساطته ، اشتاقت النفس ، وتلبست بصورته ، وجدانا منها للمبدأ ، ونزاعاً نحو الأوّل ، واستشعاراً للسكون معه ، لأنها تعشق بالذات أبداً الأوّل ، ويعشق كلُّ أوّل [ما^(٧)] بعده^(٨) للنسبة^(٩) القائمة فيه ، والشية^(١٠) الموجودة به من الأوّل بالاطلاق ، فكل مبدأ^(١١) من كل ضرب طبيعي وارادي ، وفكري وخلقى ، وصناعي وإلهي ، يحبها ويونسها ، وينفي وحشتها ويعلمها^(١٢) ، لتستكمل^(١٣) بذلك شوقها إلى الأوّل الحق ، الذي

-
- (١) في ط م : « ميقظاً ما التأم » .
(٢) في ط م : « الأوّل » .
(٣) في ط م : « ولكن الأوّل » .
(٤) « » : « لما كان من صدور المذاكرة من جهته » .
(٥) زدنا « ما » ليستقيم التعبير .
(٦) في ط : « واتصت » .
(٧) « للشية » المصدر نفسه .
(٨) لم توجد في ط م .
(٩) « مرديد » المصدر نفسه .
(١٠) في ط : « وتعلمها » .
(١١) في ط م : « ويستعمل » .

هو أول بالاطلاق ، واستكمالها ذلك الشوق هو استدامتها لحالها ، وثباتها على صورتها (١) وطربها على ما حصل لها .

والكلام في الأول والمبدأ ، وفي كل (٢) ما ضرب فيه بسهم ، وانتهي إليه بوجه لا يعمل (٣) ولا يشبع منه ، ولولا ان بضاعتي في هذا الفن مزجاة ، وعبارتي عنه منقطعة لكان ما يعقل من ذلك ويستبان أبن مرأى ، وأحلى مسمعاً ، وعلى كل حال فقد كتبت ما أمكن التصرف فيه ، والشغل به ، والزيادة على ذلك تقتضي [تحديد القول على تقرير السؤال (٤)] والجواب ، والتمثيل والايضاح ، فإن نفس الله الخناق ، وأراح (٥) همّاً لازماً وجمع شملاً منقطعاً ، أثبت على ذلك متوسماً (٦) ، أو طممت (٧) عليه متلافياً ، إن شاء الله .

عبد الرزاق محبي الدين

(١) المصدر نفسه : « في صورتها » .

(٢) المصدر نفسه : « في كل » . (٣) المصدر نفسه : « لا يعمل ولا يعمل » .

(٤) المصدر نفسه : « تقتضي يجزئ القول على تقدير السؤال » .

(٥) في ط م : « وأراح » . (٦) في ط : « موسماً » .

(٧) في ط م : « أو اطمت عليه » ، وفي ط أو الممت عليه . واخترنا طمت لانها انسب مع التعدية

بعلي . يقال : طم الطائر تطيماً : وقع على غصن .